بسم الله الرحمن الرحيم (ثقافة الجريدة تزاحم العلم الشرعي)

أ- رويت مرة عن الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله أنه كان مشرفاً يوماً للبحث العلمي في جامعة أم القرى بمكة المباركة، وأحد طلابه من أساتذة الجامعة منصرف لقراءة الجرائد المحلية، وبعد أن انتهى الشيخ علي من بحثه العلمي سأل زميله محمداً وخبر في جريدة فأجابه: (تشرف الجريدة لا شيء فيها)، وعجب الشيخ من سوء اختيار أستاذ مسلم يتخذه طلابه في الدراسة العليا قدوة، ثم هو يضيع نعمة الله عليه بالوقت والعلم والوظيفة في دولة التوحيد والسنة في قراءة ما يعرف أنه لا خير فيه (محتوى ولا لغة ولا عاقبة)، ولية ولاة الأمر يقضون على الروتين غير الموفق بتقديم الجرائد للموظفين أثناء العمل، فلم تعد الجرائد في حاجة إلى الإعانة، وحق الله وحق الرسول أولى.

ب- وليت سوء الجرائد يتوقف عند الوصف المتفق عليه: (لا شيء فيها) لكفانا عن خيرها كف شرها، ولكن شرورها يعجز عنها الحصر، وأراها مطية للشيطان، وأنه لن يعلق بها من الخير إلا بقدر ما علق بمر تحتها (الشيطان) في مثل خلقه بعزة الله، واعتراف لله بقضائه الحياة والموت والبعث والخلق، وخبره لأبي هريرة رضي الله عنه أن قراءة آية الكرسي عند النوم تبعد الشيطان عنه.

ومن شرورها: التركيز على أخبار الشر كالشيطان (يعود الفقر ويأمركم بالفحشاء)، وعدم التثبت في نقل الخبر، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتثبت: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)، وعدم رد الأمر قبل نشره إلى كتاب الله وسنة رسوله وأولي الأمر من العلماء والأمراء وقد أمر الله عباده (والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)، برد الأمر إلى شرع الله وإلى أولي الأمر قبل إشاعته (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، بل الجريدة قدوة سيئة للمواطن الكسول الذي يطالب برزقه دون سعي منه، فلا يتحرك من الجريدة إلا لسانه وقلمه و(عقله في أذنيه)، تصدق فيه المثل الشعبي: (افتح فمك يرزقك الله) ورواية الأصمعي عن كسول يتمنى الزواج دون بذل السبب غير: (لعل الله أن يأتي بليلى فيطرحها ويلقيني على كبدها ويأتي بعودان فيوقد نارا ويشويها)، ولهذه الصحافة الجاهلة الكسولة (مثل تابع الأمة الجاهل الكسول) تقود الأمة إلى الجهل والكسل وإلى المظاهرات والاضرابات والفتن.

كفى الله الإسلام والمسلمين شرها وشر النائمين بفكرها.

والسوم زاد سوء الجرائد الجاهلة بشرع الله لاستغلال مطالبة المؤسسات الدولية بحرية التعبير، فتجرأت على القول على الله وعلى شرعه بغير علم، وقد قال الله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾، بل صارت شوكة في حلق العالم العامل القائم بالحق والعدل، والجرائد آخر من يجوز إطلاق الحرية لها شرعا أو عقلا.

ج - ومن أهم ما أفسدته الجرائد من مميزات هذه الأمة لغتها التي اختارها الله لوحيه في كتابه وسنة رسوله والفقه في دينه معنى ولفظا ورسما وأسلوبا، إضافة إلى سمتها الحسن (بجرائد ولا أقول بسوء قصد) إلى هدم الأسس والقواعد التي قامت عليها دولة التوحيد والسنة في الدين ثم الدنيا باسم (حماية الآثار الدينية وتفعيل دور المرأة).

وهذه الكلمات الأخيرة (وإن كانت أسوأ ما شاءت الجريدة به لغة القرآن والسنة والفقه في الدين) لهن أخوات لا يحصيهن إلا الله كفى الله الإسلام والمسلمين شرهن وشر أهلهن.

ومن المحاولات النادرة لمقاومة هذا الفساد اللغوي ما كتبه الأستاذ محمد الهدى الأستاذ في الجامعة جزاه الله خيرا في كتابه عن أخطاء الجرائد اللغوية، وذكر في مقدمته أنه ظن أنه في حاجة إلى أعداد كثيرة من عدد من الجرائد ليستكمل بحثه، ولكنه ملأ كتابه بتصحيح أخطاء عدد واحد من جريدة واحدة، فكيف به لو حاول تصحيح أخطائها اللغوية بميزان لغة الوحي والفقه؟ وكيف به لو حاول مكافحة تقدير على شرع الله وعلى العلم والعلماء بشرعه؟ وكيف به لو حاول (وهم كل اللغويين والعلماء القاعدين عن الإصلاح) حصر أخطاء كل الجرائد في عام كامل أو شهر واحد أو أسبوع واحد أو يوم واحد؟ ولعل هذه الإشارة كافية لإيقاظ من تلفيه الإشارة من اللغويين والعلماء لأن اهتمام بمستقبل اللغة العربية في جزيرة العرب، ولعل هذه الإشارة كافية لبيان جناية الجرائد على لغة القرآن والسنة والفقه، وعلى دين الإسلام الذي قضى الله بأن تكون هذه الدولة لهي القائمة به والمسئولة قبل غيرها عن المحافظة عليه منذ منتصف القرن الثاني عشر من الهجرة، وفي غياب وازع القرآن لم يبق إلا وازع السلطان سلطه الله على مقترفي الباطل ودعاته.

د - وقد حاولت منذ عشرات السنين إقناع ولاة الأمر (وأبرهم الشيخ ابن باز رحمه الله، ووزير المعارف ووزير الشؤون الإسلامية والمخلصون في تعليم اللغة العربية وفقههم الله) بفرض تعليم لغة القرآن والسنة في

جميع مراحل التعليم فهي الأصحّ والأوضح والأثبت، وهي التي تعين المسلم على فهم أحكام شرع الله وصحة العمل به وتبليغه (لوجوب وجوده) كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾.

وخاطبت عدداً من اللغويين لعلهم يحتسبون الأجر فيرتّب كلٌّ منهم بحسب وظيفته وتخصصه ووسعه ليخدم دينه وأمته بالدفاع عن لغته.

وخاطبت عدداً من المؤسسات العامة المختصة لإنشاء مركز لتصحيح اللغة (بالعودة بها إلى الأصل الذي أنزل الله به وحيه على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم) أو على الأقل تخصيص هاتف مجاني يلجأ إليه المسلم لتصحيح لغته.

٥- وكتبت عدة مقالات لتصحيح بعض المصطلحات والأفكار مثل:

١) (وامعتصماه) وهي دعوى جاهلية لو صحت أكثر وأيسر، وتردّدت في خطب الجمعة (العبادة المفروضة) فضلاً عن الأشعار والقصص، وفحوى الأسطورة العربية أن المعتصم (الذي اعتلى الفقراء الموحّدين وأبرزهم الإمام أحمد بن حنبل بعد أخيه ثم ابنه فقتلوا منهم وجنوا وجلدوا المؤمنين ليفتنوهم في دينهم)، استغاثت مسلمة في بلاد الروم به (فأسرعت بدعائه الفائت من دون الله)، فحرّكته النخوة الجاهلية لحرب الروم، تجاوز الله عن كل مسلم.

٢) (الفكر الإسلامي) ولم يرد هذا في القرآن ولا في السنة ولا في الفقه الأول ولا الأخير، وإنما انتشر عند ما تأسس الجهال الفرق والجماعات والأحزاب، وزين لهم الشيطان والهوى وضع مناهج محدثة تخالف ما كان عليه النبي وأصحابه في الدين أو الدعوة إليه، وحذر منه الشيخ ابن عثيمين والشيخ د. صالح الفوزان والشيخ د. بكر أبو زيد.

٣) (الملكية الفكرية) وهذا تناقض؛ فالفكر لا يُملك وإنما يملك المحسوس (عدا ما استُثني في شرع الله كالماء والكلأ والنار، وكالوقف)، وحفظ ملكية للفكر حكم بغير ما أنزل الله، بل بالقانون الأوربي.

٤) (لا مشاحّة في الاصطلاح) هذا قول لا يُعرف قائله ولا يصحّ، وإذا كان معنى المشاحة: المجادلة، فقد شرع الله المجادلة بالحسنى في أمر الدين.

٥) (الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز) وخلفاء النبوة أربعة باتفاق علماء المسلمين أخذاً بالحديث: «الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً» فآخرهم علي رضي الله عنهم، ولو جاز إضافة خامس لكان معاوية رضي الله عنه الذي اجتمعت عليه الأمة ولم تجتمع على صحابي بعده، إضافة إلى كتابته الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية عنه وتأمير الخلفاء الثلاثة له.

٦) (تواتر القراءات) والحق ما يسمّى قواعد التجويد، ويؤكد المختصون بالتخريج أنه لا يوجد قراءة متواترة، أما قواعد التجويد فهي محدثة وأكثر ما يسمّى أحكام التجويد لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنة، وقد حفظ الله كتابه بجمع الناس على

قراءة واحدة ورسم واحد (في عهد عثمان رضي الله عنه) إلا ما يحتمل الرسم العثماني قبل النقط ثم الشكل (مثل: يقولون أو تقولون ويفعلون أو تفعلون).

٧) (الروحي، بمعنى الديني) وإنما هو مترجم عن الإنكليزية وعن استعمال المتدينين بالنصرانية وفصلهم الروح عن الجسد في الدين، وهي بدعة في دين الله الذي يحكم الروح والجسد معاً، وذكرها بكر أبو زيد في معجم مناهيه.

٨) تفسير: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ بقصر الخلق على المعاملة، وهو يشمل معرى الأفهام منه: الاعتقاد والعبادة، أي: الدين كاملاً كما في قول الله تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ وقول عائشة: (كان خلقه القرآن).

٩) مدح النبي صلى الله عليه وسلم بمثل: (صاحب الوجه النور والجبين الأزهر) غير ما اختار الله له وغير ما اختار النبي لنفسه بأمر ربه، بل هو ما اختاره المتصوفة الجهلة المبتدعة في الموالد: (خده أحمر مورد، ريقه سكر مكرر، بطنه طي الحرير، حين يشتد الزفير، خده التفاح شامي)، وأعظم ما يمدح به العبودية والرسالة صلوات الله وسلامه عليه.

١٠) (بيننا وبينهم الجنائز) يروى مثل هذا عن الإمام أحمد بمعنى أن الفصل بينه وبين أعدائه المبتدعة كثرة المشيعين أو قلتهم، وهذا حري ألا يصح عنه رحمه الله، فالفصل بين المتنازعين كتاب الله وسنة رسوله، والإكثار الخميني وجمال عبد الناصر هما الأحق.

١١) (طلبنا العلم لغير الله فأبى الله إلا أن يكون العلم لله) وهذا حري ألا يصح عمن روي عنه؛ فالعلم بشرع الله عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله، والإكثار شرك يحبط العمل: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾، ويصح هذا القول لو نُقِّح بمثل: (فطلبنا العلم لله).

١٢) (جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر)، ومقدمة هذا القول مخالفة لأمر الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾، وقد يعطي الله صحة الجوارح وسلامتها مع طول العمر لأكثر خلقه: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾.

هذه بعض أقوال تنسب للعالمين أو الجاهلين مما أضربه مثلاً لثقافة الجريدة (وبقية وسائل الإعلام)، أي: (سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته) دون رجوع إلى الوحي والاختصاص بالعقل، تردد ببغائي.

وحتى يأذن الله لولاة الأمر بإعادة الرقابة على الصحف فلعل من المناسب أن يُكتب على صفحاتها تحذير (مما يكتب على علب الدخان وهو أخف ضرراً): باحتمال ضررها للدين والدنيا والعقل والحكمة، لهدى الله الجميع لأقرب من هذا رشداً؟

١٤٣٢